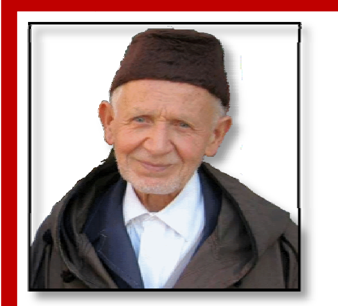


خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



14. من عاشر الزّمان رأى منه العجائب

16 ذو القعدة 1379هـ الموافق لـ 13 ماي 1960م

الـحمد لله الّذي جعل لنا من هذه الـحوادث درسًا للتّجارب والعبر، وآية على قدرته في خلق العظمة ممّن أحبّ واصطفى من البشر، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، {خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} الملك: 2، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي كان قدوة وأسوة في حياته وبعد مماته لسائر الـمؤمنين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين كانوا معجزة الله في أرضه، ومثلًا أعلى في سيرتهم وحسن أخلاقهم.

أمّا بعد: فإنّ من عاشر الزّمان رأى منه العجائب، وأنّ الـحوادث دائمًا تجري حسب إرادة الله ومشيئته بين عباده، تصيب بالفناء من تمّ دورهم، ويتأخّر وقتًا من الزّمن آخرون حتّى يكملوا تلك الـحلقة الـمفرغة.

وهكذا نرى أفراد البشر يتتابعون في سلسلة واحدة دورًا بعد دور، حتّى ينتهي أمر هذا الكون، وتكمل دورته.

ولنعلم بذلك أنّ الـخلود والبقاء لم يكن إلّا لله وحده، وأنّه الـمتصرّف في ملكه حسبما تقتضيه حِكمته في تسيير شؤون العالـم، يقبض إليه ممّن اصطفاهم من خلقه في اللّحظة الّتي تكون قد انتهت فيها مهمّتهم الدّينيّة والدّنيويّة، ليخلق مواهب أخرى جديدة، في أفراد آخرين، ليؤدّوا واجبهم كذلك في هذه الـحياة حسب الكفاءة الّتي خلقوا لها، وحسب الاستعداد الـملائم لظروفهم وعصرهم.

وكلّ هذه التّجارب والتّقلّبات الّتي تجري على مسرح الـحياة، إنّما هي حِكم إلـهيّة يجريها الله -جلّ جلاله- بين خلقه ليعرّفهم بأنّه الـمختصّ بالعظمة والقوّة والـجبروت وحده، يعطيها لـمن أراد من عباده حسب الظّروف الـمناسبة، والأحوال الـملائمة.

وأنّ هذا الأخذ والعطاء إنّمـا هو إيقاظ لشعور الشّعب، وتـحريك لإحساسه حتّى ينتبه كلّ فـرد إلــى نفسه، ويبحث عن الأعمـال الـهامّة الّتي يكون قد قدّمها فـي حياته، أو الّتي سيقدّمها فـي مستقبل أيّامه، حتّى يكتب الفوز والنّجاح لنفسه ولغيره من أمّته، وليكن دائمًـا علـى حذر، وعلـى بيّنة من أمره، بأنّه لـم يكتب له الـخلود فـي هذه الـحياة، حتّى يركن إلـى السّكون أو ينتظر فرصًا تواتيـه ليـؤدّي مـا عليـه مـن واجبات ومسؤوليّات.

وبهذا ندرك أنّ هذه الـحوادث الـجارية ما هي إلّا إنذار لكم علـى ترك التّوانـي وتقديم ما تـجزون بـه فـي عاجلكم وآجلكم.

فخذوا أنفسكم بالـحزم إذا صحّ إيمـانكم بالقضاء والقدر خيره وشرّه، حلوه مرّه.

واعلموا أنّه إذا كمل إيمـانكم علـى هذا النّمط، فقد أحرزتم علــى رضـا ربّكـم، وأنّ بشــرى الأيـام ستنبئكم بمـا يكسبكم أعظم الفخر والـمجد، وأنّ تاريـخكم سيسجّل لكم آثاركم الـخالدة الّتي ستبقى ما بقي الدّهر، وأنّ كلّ إسعاد أو خير فـي هذه الــحياة هـو رهـن تفـانيكم، وحسـن أعمــالكم، ومبلـغ كفاءتكم وإخلاصكم.

فسيروا علـى هذا الـمنوال الّذي سار عليه أسلافكم حتّى تنالوا مـا تصـبوا إليـه نفوسـكم، وتــحقّقوا مـجدا عظيمًـا فـي تاريخ حياتكم.